

## الفكر السياسي الاشتراكي والنضال من اجل نظام جديد للعلاقات الدولية

- خارطة الصراع بين قوى الرأسمال وقوى التحرر الانساني على الصعيد العالمي
- مقومات التفكير السياسي الجديد لمواجهة القضايا الدولية: نظرية العالم المترابط ومفهوم الامن الدولي الشامل
- نزع السلاح وحل النزاعات الاقليمية
- اعادة هيكلة العلاقات الدولية والنضال من اجل نظام اقتصادي دولي جديد
- الرد على الاطروحات التعسفية

عصرنا الراهن هو، بلا جدال، عصر التحولات الكبرى في النشاط الانساني وهي العلاقات بين الدول. ففي كل مكان، تجري تغيرات وتقلبات عميقة داخل المجتمعات وعلى النظام الدولي في مجمله. فالصراعات الطبقيّة أخذت في الاجتدام، والكفاح الوطني التحرري للشعوب المضطهدة يسجل انتصارات متتالية، والنظام الرأسمالي العالمي يعيش تحولات تكنولوجية وبنائية بعيدة المدى في ظل تناقضاته المركزية، بينما أقبلت المنظومة الاشتراكية على تطوير وتجديد هياكلها الاقتصادية والسياسية في اتجاه المزيد من الديمقراطية والاشتراكية. وللمرة الاولى في التاريخ يدخل العالم عهد الحد من الاسلحة النووية ويتجسد الامل في انقاذ البشرية من الغناء النهائي، وتبرز للوهود امكانيات جديدة للتنمية والتعاون الدولي والبناء السلمي، وتشهد وسائل الاتصال العالمي ثورة هائلة ذات آثار بالغة على حياة الشعوب، وتحقق العلوم ووسائل المعرفة نظريات مدهشة لم تكن تختر على بال، وفي الوقت نفسه أصبحت سكاكحة المجاعة والحفاظ على البيئة والتحكم في الموارد الطبيعية والتطور الضامي تقاييا ذات طابع دولي اكثر من اي وقت مضى، بل ان علاقة الصراع والثنافس ما بين النظام الاشتراكي والنظام الرأسمالي أصبحت هي نفسها شكسي طابعا جديدا من نطل الحقبّة النووية.

وانها مرحلة جديدة تدخلها الانسانية جمعاء، مرحلة تطرح مهاما وتقاييا جديدة هي الأخرى وتستدعي بالتالي تطوير وتجديد النظرية والى الواقع الدولي، ومن ثم وضع استراتيجيّة شاملة لاساء نطل جديد في العلاقات الدولية.

ولقد تبلورت عند البلدان والقوى الاشتراكية في السنوات الاخيرة عناصر هذه الاستراتيجية الجديدة ضمن عقلية سياسية جديدة

I. الصراع بين قوى الرأسمال وقوى التحرر الانساني  
على الصعيد العالمي

ان هذا الموقع المترجم يحتم علينا بدايةً طرح تصور الاشتراكيين الحقيقيين ايها كانوا تقاضيا الفرع الدولي، كجزء لا يتجزأ من الخط السياسي والادبيولوجي المسمم من الاشتراكية العلمية. ان نظرية الاشتراكيين للواقع الدولي تنطلق من الايمان بان تلبية الحاجيات الالهاسية للشعوب التي يبلغ تعدادها خمسة ملايين ونصف المليار سنة 2000 أمر ممكن تماما، وان البؤس والمرض والجهل والمجاعة التي لازال يتخطب فيها مآت الملايين من الجنس البشري ليست قدراً محتموماً او لا مفر منه، بل على العكس تماماً اذا ماتم وضع كل الامكانيات المتوفرة لخدمة هذا الهدف، فالامكانيات العلمية والتقنية، بالتقدم الهائل الذي حققته، تفتح اليدم آفاقاً لم تكن تتخطر على بال قبل سنوات قليلة فقط، سواء منها في ميدان الزراعة والتحكم في الموارد الطبيعية او في مجال استعمار المحيطات والاستغلال السلمي للطاقة الذرية، او في ميدان الطب والجراحة الضخمة التي تمكن من مكافحة الوبئة والامراض سواء المستعصية منها او الواسعة الانتشار والتي لازالت تقتل سنوياً مآت الآلاف من البشر في نهاية القرن العشرين.

ويؤمن الاشتراكيون أيضاً ان الاستعمال الاقصى للتطورات العلمية والتكنولوجية في مجال الانتاج المادي من شأنه ان يرفع من المستوى المعاشي للشعوب، شريطة ان يتم وضعها في خدمة حاجيات الانسان وليس العكس. كما ان الثورة التي تشهدها وسائل الاتصال العالمية الحديثة تخلف شروطاً ازدهار لم يسبق له مثيل في العلامات بين الشعوب وتوسع آفاق المعرفة والاعلام والنشاط الانساني،

في المجال الدولي وظهرت ترجمتها العملية في العديد من المبادرات الدبلوماسية الاشتراكية المتواكبة بشأن نزع السلاح وتخفيض حجم القوات النووية والتقليدية والمساهمة في اطفاء الحرائق الاقليمية والدعوة الى اقامة نظام امن دولي شامل وتزويد الامم المتحدة بحقوقها مملوسة بشأنه، في اطار مواصلة «عهد السلام» الذي اطلقه الطعسكر الاشتراكي، باعتباره تجسداً للتفكير السياسي الجديد الذي يسند ~~السياسة~~ السياسة الخارجية - والداخلية - للنظام الاشتراكي العالمي.

لما هي مقومات هذا التفكير السياسي الجديد؟ وهل هو مجرد نكتيك مرحلي وخبير ظرفي، ام هو حاجة داخلية للقوى الاشتراكية وانعكاس موضوعي للتحويلات العميقة التي يشهدها العالم المعاصر في ظل العهد النووي؟ وهل صحيح ان شحن الانفراج الدولي هو التخلي عن شعوب وحركات التحرر في «العالم الثالث» كما يروج البعض؟

للقوف عند مجمل هذه الاسئلة، سوف لن نلجأ الى اسلوب الخوض في تفاصيل المبادرات الدبلوماسية الاشتراكية او استعراض مواقف القوى التقدمية والاشتراكية من كل مسألة دولية ومن كافة النزاعات والحروب والمفاوضات التجارية، بقدر ما سنحاول ~~تقديم~~ تقديم اسس ومركزات السياسة الدولية الجديدة للبلدان الاشتراكية، ورصد انعكاساتها، وذلك من موقع الحركات التقدمية والثورية المنخرطة في النضال ~~من اجل~~ من اجل التحرر والديمقراطية والاشتراكية والسلام عبر العالم.

تكن شريطة ان يتم توظيفها في هذا الاتجاه التقدمي بالذات وليس في اتجاه تكريس الاستلاب والمهينة الثقافية والتجارية للشركات المتعددة الجنسيات والمطامح الامبريالية بصفة عامة.

والقوى التقدمية والاشتراكية تؤمن ايماننا راسخا بالضرورة القصوى لوقف سباق التسلح وتعلق آمالا كبيرة على انطلاق مسلسل تفكيك الاسلحة النووية والتقليدية - باعتبارها منعطفنا تاريخيا من شأنه ليس ازالة شبح الكره والدمار النووي مخيب، بل ايضا فتح آفاق في منتهى الجودة بالنسبة لعلاقات التعاون الدولي عبر تحويل جهود الانفاق العسكري الهام وجهة التنمية والبناء السلمي ومحو آثار الفتر والمجاعة في كافة ارجاء المعمور.

واعمالا، فان الشروط الموضوعية لعصرنا الراهن تحمل في طياتها امكانيات هائلة للتحرر الانساني ومعالجة المشاكل الكبرى التي تواجه الانسانية جمعاء. الا ان هذه الامكانيات تخضع لتحقيقها لجزى الصراع العالمي الدائر حاه في الحار التناقض الاساسي ما بين الاجبرالية والرجعية والاستعمار من جهة وقوى التحرر والتقدم والاشتراكية من جهة ثانية. فحركية الوضع الدولي تنبئني في مجموعها على هذا التناقض الاساسي الذي ليس هو مجرد عبارة كلامية او تصور فكري، بل هو واقع مادي وسياسي وادبيولوجي في آن واحد، يفرز تغيرات ومسجدات متلاحقة تنهم حياة الشعوب وتحكم مستقبلها القريب والبعيد. وهذا الواقع المادي يتجسد اساسا فيما يلي:

1- تراكم الارباع الرأسمالية الفاجشة مقابل بؤس الملايين

اذا كان عالمنا المعاصر هو كما ذكرنا عالم التطور التكنولوجي الهائل والتقدم العلمي والتنقني في كافة الميادين، فهو ايضا عالم المآسي والفواجع على نطاق بشري واسع، بسبب اضرار الرأسمالية على تسخير الوسائل التقنية وقوى الانتاج كمبرد ادوات لكسب المزيد من الربح عن طريق استغلال الانسان ونهب الشعوب وادامة الجماعات وغيرها من الكوارث.

ان تآتون النظام الرأسمالي كان ولا يزال هو الجري وراء مزيد من الارباع للزيادة في حجم الراسمال، ومراكمة الراسمال لتحقيق المزيد من الارباع. وكل نشاط اقتصادي لا يخدم هذا الهدف الا ويحكم عليه بالانقراض وتتم التضحية به من دون رحمة. هذا ما يجعل الرأسمالية تتخلى عن قطاعات انتاجية بكاملها او لا توظف الطاقات الانتاجية فيها توظيفيا كاملا. وهذا ما يجعل الكثير من الحاجيات الانسانية يبقى دون جواب، وينتج تهميش وابعاد الملايين من النساء والرجال - جنس نيسم ذوو التكوين والكفاءات النافعة للمجتمع - ويتم اعتبارهم غير نافعين. هذا هو سر توسع وانتشار البطالة في المجتمعات الرأسمالية، وهذا بشكل عام هو معنى القول بان علاقات الانتاج الرأسمالية تشكل حاجزا في وجه تطور حقوق الانسان في الامم والاصحاحية وفي وجه التبعية الكاملة لحاجيات الشعوب في الشغل والعيش الكريم.

ان امكانيات التوظيف الاقتص للطاقات الاقتصادية موجودة بل وضرورية باعتبار سزايد الحاجيات كما ونوعا على صعيد كل بلد وعلى المستوى العالمي ككل، لكن منطلق الراسمال، على العكس من هذا، يقتضي "الاقتصاد" في مناصب الشغل، والضغط على الاجور، والحذف من تكويت اليد العاملة، وتكثيف استغلالها وانحطاع الكيانات التكنولوجية دائما

لمنطق المردودين والسعي وراء أقصى الأرباح المحيطة .

وهكذا ، بينما تتراكم الثروات الطائلة عند الطبقات الرأسمالية ، يتركهم  
البؤس والحرمان عند الطبقات الشعبية وتتسع صفوف البطالة وتتمتع  
الفوارق الطبقيّة داخل المجتمعات الرأسماليّة بشكل مفرط ، ولأن سياسة  
"التقسف" الرأسمالي تؤدي كحوما إلى تراجع القدرة الشرائية وتقليص  
الأسواق الداخليّة ، فإن افضليّة المراكز الرأسماليّة تتجه أكثر فأكثر  
نحو المخابرات الماليّة ذات الأرباح السهلة والسريعة ، وتصدير الراسمالي  
إلى الخارج ، والاعتماد على الصناعات العسكريّة كمحور رئيسي . . لكن

الشرط الأساسي لاستمرار الرأسماليّة العالميّة والقاسم المشترك في استراتيجيتها  
الدوليّة هيّ يبقى هوّ تشديد نهج وتفجير شعوب العالم الثالث وفرض  
شروط حياة لا انسانيّة عليها ، عبر الاستغلال التاجس للبيد العاملة  
الرضيعة ، واستخدام سلاح المديونية الخارجيّة و"المساعدات" الانتقاريّة  
والعسكريّة أو تعميق تبعية البلدان "النامية" بإشراف بورجوازيات

محمليّة مرتبطة عضويًا ومصيريًا بمراكز الهيمنة الامبرياليّة على الشعوب ،  
والنتيجة هيّ تضخم ارباح الشركات المتعددة الجنسيات والمؤسسات  
الماليّة الرأسماليّة الكبرى بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ ، مقابل  
تضخم صفوف أصحابا المجتمعات باربعين مليون نسمة افانيّة كدسة  
( بحيث ان 800 مليون نسمة تعاني اليوم من المجاعة وسوء التغذية )

وابعاد الملايين عن كل نشاط اقتصادي . بمعنى الكلمة وحصرهم في  
اوضاع دونية ، اوضاع الهزاع من اجل البقاء على قيد الحياة ، حيث  
يعيش اليوم مليار من الرجال والنساء تحت عتبة الفقر المطلق . وتتعمق  
الفوارق الطبقيّة على الصعيد العالمي بشكل خارج عن جميع المستويات ،  
فعدد الاطباء في العالم الثالث يقل عشر مرات عددهم في البلدان

المصنعة ، و 75٪ من سكان الكرة الارضية لا يتلقون سوى 9٪ من  
المخاريف العالميّة في ميدان الصحة ، وهناك أزيد من 100 مليون نسمة  
يعيشون بدون مأوى ، و 800 مليون أمي في العالم الثالث . ومع هذا  
يُجد ان بلدان العالم الثالث تنفق 14 مرة في المجال العسكري ما تنفق  
على البتة والشهية ، وتصرف على الجند الواحد 300 مرة ~~أكثر~~  
ما تصرفه على التلميذ !

ان العالم لم يسبق له ان عرف مثل هذا الغراء الفاجس الى جانب  
هذا القدر من الحرمان والشقاء والبؤس الاسود . انها نتيجة النظام الذي  
لا زال يملك قسما واسعا من الانسانيّة : نظام الرسمال والهيمنة الامبرياليّة ،  
وليس "مسيحة القدر" أو نتاج "تقدم" شعوبه و"تخلف" اخرى او عدم  
ارتقاءها الى مستوى العصر كما يقال . كما ان اوضاع العالم الثالث  
تجديدا ليست على الاطلاق نتيجة "تأخر حضاري" او تخلف في الوعي  
او ازمة "العقل" لدى الشعوب العربيّة والآسيويّة والامريكيّة اللاتينيّة .  
فهذه كلها تفسيرات مثاليّة سلفيّة ان لم تكن عمريّة امبرياليّة

وغنبرية تعبر عن اشلاب ثقافي واسع الانتشار عند الثوب الحاكم وربنة  
الاستعمار المباشر وحادمة الاستعمار الجديد . فاذا كانت هناك من ازمة ،  
فهذه ازمة نظام العلاقات الاقتصاديّة والاجتماعيّة السائدة في  
العالم الرأسمالي . فإينما استقر هذا النظام ، الا وكانت النتائج كارثية  
على الشعوب ، لان علاقات الاستغلال الرأسمالي تمنع تطور طامات  
وفعاليات الشعوب وتلبية حاجياتها الاجتماعيّة ، وتجزئ عن توفير  
الحقوق الاقتصاديّة والسياسيّة للجميع ، ناهيك عن الحقوق الثقافيّة .  
ولم يعد بإمكان انصار الرأسماليّة ان يستشهدوا بنموذج من النماذج

~~على الصعيد~~ " الليبراليّة " ، فالازمة تشمل حمة الولايات المتحدة حيث  
يعيش 30 مليون امريكي تحت عتبة الفقر المطلق ، وحيث 40٪ من

2 - تصاعد الصراع الطبقي وطبقات الشعوب

على قاعدة الواقع المذكور، فإن عصرنا هو عصر تعمق التناقضات الطبقيّة وانفجارها في أكثر من بقعة على وجه الأرض. إن تنامي النضالات الوطنيّة والطبقيّة على الصعيد العالمي والاطهاد اليومي بين الطبقات المائدة والقوى الشعبيّة القاعدة هو حقيقة يومية متعددة الأشكال، وإن كانت لا تحظى دائماً بصورها الإيماني، داخلياً وخارجياً، ففي كل مكان، تبرز بقوة طموحات الشعوب في التحرر والسلام والديمقراطية والعدالة الاجتماعيّة، وتطرق أبواب القرن القادم مستبرة بعهد دولي جديد.

نما هو الشعب الفلسطيني يسجل أروع الملاحم النضاليّة ضد الصهيونيّة، الذراع الضارب للإمبرياليّة في شرق الوطن العربي، وينتزع الاعتراف الدولي بحقه في الاستقلال وبناء دولته الوطنيّة. وفي جنوب لبنان، ورغم الإزمة المزمنة لهذا البلد العربي، ظلّته المقاومة الوطنيّة تكبل الضربات تلو الضربات للاحتلال الصهيونيّ وبحملاته، وفي جنوب أفريقيا، يتواصل كفاح الجماهير ضد نظام الميز العنصريّ البغيض ويضطر حكام برينتوريا للعدول عن أرجاع الزعيم الإفريقيّ نيلسون مانديلا إلى السجن، وها هو شعب ناميبيا يتجه نحو استقلاله (الوطني)، رغم مناورات نظام جنوب إفريقيا ومن وراءه إدارة واشنطن. وفي أمريكا اللاتينيّة وآسيا، بدأت أنظمة الحكم الديكتاتوريّة تتساقط الواحدة تلو الأخرى، من نظام سوموزا إلى دوفالينيّ فماركوس، وفي الشيليّ اتخذ نظام الجنرال بينوشي يلفظ انقاسه الأخيرة بفضل الكفاح الدؤوب للشعب الشيليّ، وفي كوريا الجنوبيّة، يتعاقد المد النضاليّ والقوى الوحدويّ للجماهير الشعبيّة. وسيّئاً فسيّئاً يتزايد ضغط الشعوب في كل جهات المعمور من أجل وضع حدّ لنهب خيراتها والقضاء الديون التي تكبلها، ويتعاظم في نفس الوقت وزن

نضال الشعوب الوطنيّة

الإثرياء يسيطرون على 70٪ من الثروة الأمريكيّة. ودراسة الاتجاهات العامة للاقتصاد الرأسماليّ الدوليّ تُبين أن هذا الأخير مقبل على تراجع اقتصاديّ جديّ وعلى اختتام التناقضات بين أطرافه واشتداد تنافسها على الأسواق ومناطق النفوذ التجاريّ، وعلى مزيد من تفنيد النظام التقنيّ والازفات البورصويّة، وتعمق الهوة السحيقة بين عالم الإثرياء - عالم البذخ والارتشاء والتفنيخ ونهب الأموال الهوسية - وعالم الجماهير الكادحة أو المضطّرة للبحث عن كفاف العيش بكل الوسائل. واختصاراً، فإن النظام الرأسماليّ بات أكثر فائزاً مرادفاً للتراجع الاقتصاديّ والازمات الاجتماعيّة والتفنيخ الأخلاقيّ. والحصلة النهائيّة هي الإفلاس، لأن الرأسماليّة بطبيعتها لا تهدف لتلبية مصالح الأوطان والشعوب، بل الكرم الوحيد لقادتها هو الحفاظ على امكانيّات الاستغلال والنهب والمهيمنة. ولذلك فإن هذا النظام، نظام الرأسماليّة العالميّة، عاجز عن تقديم الحلّ والجواب على المشاكل الأساسيّة المطروحة على الإنسانيّة اليوم ولا عن مواجهة التحدّيات الكبرى لعصرنا الراهن.

حركات السلام العالمية المنادية بوقف التسليح النووي وجملاء القواعد العسكرية الامبريالية، كما تتطاع بشكل ملموس نظالات الطبقة العاملة في مختلف البلدان الرأسمالية وتتسع مقاومتها لسياسة الراسمال وما تنتجته من تفاوت طبقي فاحش.

وقبل ذلك، شكك نضال الجماهير الشعبية خلال السبعينات عاملا من العوامل الاساسية التي سرعت بروز ازمة النظام الرأسمالي، حين عرضته لسلسلة من الانتكاسات السياسية التي تنزاجت مع ازماته الاقتصادية والداخلية لتضع هذا النظام في بداية الهريق لمنحدره النهائي. فقد تعرض النظام الامبريالي، وهو يتخيم عملية انتقال الاستعمار المباشر الى استعمار هديد في اواخر الستينات، لاول نكسة سياسية كبرى بعد ان الحق به قوى الثورة الفيننامية اكبر هزيمة عسكرية ومعنوية يتلعاها منذ بروزه في صيغته الامبريالية. وتلت هذا الانتصار العظيم لشعوب الهند الصينية سلسلة من الانتصارات حققها شعوب افريقيا، من بينها سقوط نظام هيلاسيلاسي الديكتاتوري العتيق، ثم الانتصار الرابع للقوى الوطنية والتقدمية في انغولا وقيام نظام وطني هناك رغم دسائس وقامر القوى الامبريالية والرجعية، وكذا تحقيق التحرر والسيادة الوطنية في كل من موزمبيق وجينيا بيساو - مع انعكاس النضال التحرري لكل هذه الشعوب على الوضع الداخلي في البرتغال باطاحة نظامه الديكتاتوري السابق - اضافة الى استقلال زيمبابوي وتوجهه نحو نيج وطني تقدمي، وترسخ النظام التقدمي الاشتراكي في اليمن الجنوبي، وسقوط الانظمة الفاشية في كل من اليونان واسبانيا، ثم التغيير الوطني للسلطة في افغانستان، فسقوط نظام الشاه في ايران ونظام الجزالات في الارجنطين الخ..

ان كل هذه النضالات والحركات قد جعلت موازين القوى على الصعيد العالمي تهيكل بشكل ملموس، مع بداية الثمانينات، لصالح قوى التحرر والتقدم، وهي التي تدفع اليوم الى حصر نفوذ النظام الرأسمالي عالميا واتزاع المبادرة من يده في قسم واسع من صرح الصراع الدولي.

3. نهوض الاشتراكية العلمية وتعمق الغز الايديولوجي على الصعيد العالمي

في الوقت الذي تتعمقت تناقضات النظام الرأسمالي العالمي ويتنامى الوعي الطبقي ودور الشعوب المضطهدة في مجرى الصراع الدولي، تشهد المنظومة الاشتراكية من جهتها نهوضا عاما وتغيرات كبرى في اتجاه توطيد البناء الاشتراكي بتعميق الديمقراطية الاشتراكية والعطاء على المخلفات السلبية التي ولدتها التجربة التاريخية للمجتمعات الاشتراكية. ولذا تجري عملية اعادة الهيكلة الشاملة في الاتحاد السوفياتي (البرسترويكيا) صائقة نتائج اقتصادية وسياسية مرموقة تستجيب لمطالب تطور المجتمع الاشتراكي وحل المشكلات المرتبطة بنمو هيكل الانتاج على امتداد الجمهوريات السوفياتية، وما تحليه من ضرورة تطوير وتحسين علاقات الانتاج الاشتراكية بما يضمن تلبية افضل للاحتياجات المادية والاجتماعية للجماهير العاملة، وذلك بالارتكاز على مبادئ التسيير الذاتي والديمقراطية وما تقتضيه من اعادة تنظيم جهاز الادارة الاقتصادية بموازاة اصلاح شامل للنظام السياسي يرسخ الممارسة الديمقراطية من القيمة التي القاعدية وفي كافة مجالات النشاط السياسي والاجتماعي للمزب والدولة والمجتمع.

~~.....~~

أما على صعيد السياسة الخارجية للمعسكر الاشتراكي، فلا مبالغة في القول انها لم تعد تمنح المواقفين والمنتسبين وقتا للتقاط أنفاسهم، فالبادرات الدبلوماسية الاشتراكية في تعاقب ~~وتتوالى~~ سريع ومستمر، والنشاط الخارجي لبلدان حلف وارسو يتكثف يوما عن يوم ويتسع الى كافة القضايا الدولية والاقليمية، حتى باتت عمليا مركز استقطاب الحياة الدولية بأسرها، في وقت ارتفعت فيه بشكل متكامل خطوط وتوجهات البرسترويكيا على الصعيد الداخلي.

ولقد شكنت الدبلوماسية السوفياتية بشكل خاص، وفي نظري وجيز، من اهدات انقلاب شامل في الصرة التي كانت سائدة في الغرب اساسا حول المجتمع الاشتراكي، وشهدنا اشهار الكثير من الاطروحات البورجوازية حول ما يجري في الاتحاد السوفياتي من اصلاحات جذرية شملت كافة الميادين، ففي مرحلة اولى، وهي المرحلة التي عكبت اسلام ميخائيل غورباتشيف مهامه كامين عام للحزب، ركزت اغلب وسائل الاعلام الغربية على اظهار مباررات القيادة السوفياتية الجديدة على انها مباررات شخصية صرفة ومجرد دعاية موجهة للغرب، اي بعبارة اخرى ان الامر يتعلق بمخادرات وهداع دبلوماسي ليس الا. وعندما استضح ان مشروع إعادة البناء والهيكلة الاشتراكية يمثل برنامجا سياسيا/اجتماعيا واستراتيجية متكاملة، لجأت وسائل الاعلام المذكورة الى القول بانه اذا كان غورباتشيف ذا نوايا حسنة على اية حال، فان النظام الاشتراكي هو نظام مغلق ومتقوقع وجامد الى الأبد، ولا حظوظ بالتالي للاصلاحات المفروضة في النجاج والانتقال الى حيز الواقع. ثم جاءت المرحلة الثالثة عندما أصبحت إعادة الهيكلة عبارة عن حركة اجتماعية وسياسية شاملة وحققت نتائجها الاولى بنجاح، عندها منيت الثاويلات والتشويبهات

البورجوازية بخسارة فادحة، فراح المنظرون المعادون للاشتراكية يبحثون عن خطاب جديد "وتفتقت عبقرية" البعض منهم على القول بأن ما يجري في البلدان الشرقية لا يعدو ان يكون "التقلا" او "عودة" الى الليبرالية وان هذا يؤكد في جميع الاحوال فشل البنيات الاشتراكية وعدم ملائمة "النظام الشيوعي" لمتطلبات العصر. وذهب البعض منهم - نفاقا - الى حد الدعوة الى تشجيع الاصلاحات "الليبرالية" (وهذا في حد ذاته اقرار بانفلاس تنظيراتهم السابقة) بينما تسبح آخرون من خيالهم صورة لنظام سوفياتي عبارة عن مخلوق عجيب ماهو بالاشتراكي وما هو بالراسمالي، وبطبيعة الحال، ما ان اندلعت اعداء ارضيا واذربيد جهان حتى عاد المملكون السوفياتولوجيون الى طبيعتهم الاصلية، فمضوا يتكلمون عن "أزمة الامبراطورية السوفياتية" وتحولوا بقدرة تادر الى مدافعين اشداء عن "حق الشعب في تقرير مصيرها" كما يريدون له ان يكون، وخرست وسائل الاعلام البورجوازية لمدة طويلة عن حق واضح ولاخبار عليه كحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره فعلا، لتوجه أنظارها الى "الثورة" في ايرنيان!

ومهما يكن، فان هذا صراع اديولوجي وسياسي دولي ليس بالجديد، بل هو صراع طبيعي وتاريخي. فالاعلام الامبريالي والرجعي قد عمل منذ قيام الثورة اكتوبر 1917 على تشويه الدول الاشتراكية وتصويرها بكل الصعد ماعدا تلك التي تنطبق على حقيقتها الفعلية. تكن في النهاية يظل سلاح الاشتراكية هو الاقوى، لانه سلاح الحقيقتة. وبالمناسبة، لا بد أيضا من تسجيل المأزق الذي وقع فيه شجاع

1985



الشهيد المصلي واساليب المديح والتلق التي كانت تمارسها بعض  
 الاقزاب العالمية ، ويمكن القول ان السياسة الاشتراكية الجديدة قد وضعت  
 تلك الاساليب في حالة تلبس ان صح التعبير . لكن المهم مرانه  
 اذا كانت الدعايات والتنظيرات البورجوازية قد اشرت على وعي الجماهير  
 في العالم لمدة من الزمن ، فما نحن نشاهد اندحارها واجتيازها ؟  
 وبالمقابل نرى تصحيح الصورة الحقيقية للمجتمعات الاشتراكية في  
 ذهن الشعوب ، كما يدل على ذلك تزايد التعاطف العالمي مع الخطوات  
 والتغييرات البريئة التي اقدمت عليها في السنوات الاخيرة . وما من  
 شك ان هذا التحول الجوهري يعتبر مكسبا هاما يسند السياسة الخارجية  
 الاشتراكية ويوسع آفاقها وامكانياتها بشكل جديد .  
 فما هي مميزات هذه السياسة ومقوماتها الفكرية ؟ هذا ما  
 سنحاول التطرق اليه في العدد القادم .

الحمد الخطابي